مجلة دراسات إنسانية واجتماعية / جامعة وهران02/ المجلد 13ع 02،
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

مفهوم اين سوف (אין סוף) وسيفيروت (סיפירות): دراسة تحليلية لمفهوم الخلق في الكابالا

The Concept of Ein Sof and Sefirot: An Analytical Study of the Concept of Creation in Kabbalah.

د. إسماعيل نحناح Ismail Nahnah * ismailnahnah7@gmail.com	الأديان المقارن	دكتوراه كلية اللاهوت والعلوم الإسلامية، جامعة طهران / إيران.
DOI : 10.46315/1714-013-002-010	ORCID: https://orcid.org/0009-0003-7682-4348	

الإرسال: 2024/02/10 **القبول**: 2024/04/24 **النشر**: 2024/06/16

**

ملخص:

النّور في الأدبيات الكابالية هو الموضوع الجوهري للخلق، وهو أساسي في عملية الخلق، على اعتبار الخالق لامتناهي تسميه الدّراسات الكابالية (اين سوف-אין סוף)، وهو نور لامتناهي تصدر عنه أنوار عشرة تسمّى (سيفيروت-סיפירות) تضمّ كلّ العوالم، وهي أربعة عوالم تسمّى (אביע ABYA).

اين سوف في الكابالا هو اللاّمتناهي الخالق الواحد الذي يصدر عنه سيفيروت وهي عشرة في العدد من حيث التقسيم إلاّ أنّها لا نهاية لها فيما تحمله من انبثاقات داخلها، كما أنّها مترابطة مع بعضها البعض، حيث يتم انتقال النّور فيما بينها جميعا من أولها لآخرها ومن آخرها لأولها. العوالم التي تضمها طريقة صدور سيفيروت عن اين سوف تتم وفق طريقتين في الكابالا: الأولى عن طريق عملية تسمى (الانبثاق- אצילות) حيث تفيض فيه الأنوار لنور أول وهي السفيرة الأولى (كيتر) ثم تنتقل لبقية السيفيروت. والطريقة الثانية ظهرت لاحقا في الكبالة اللّوريانية وهي (الإنكماش- צמצום) حيث يختزل اين سوف نوره لأنّه يشغل كلّ المكان ليترك مساحة من أجل ظهور سيفيروت، الظهور الأول منها هو النّور البدائي (אדם קדמון آدم كدمون).

البحث في طبيعة العلاقة بين اين سوف وسيفيروت تقودنا إلى اعتبارين: الأول: وحدة اين سوف وسيفيروت، وهما جوهر واحد؛ الثّاني: وفيه رأيان: 1.سيفيروت هي أواني وأدوات للخلق، 2. سيفيروت هي مظهر من مظاهر اللاّمتناهي لكنّها لا تمثل جوهره.

الكلمات المفتاحية: (اين سوف-אין סוף)، (سيفيروت-סיפירות)، (الانبثاق- אצילות)، (الإنكماش- צמצום)، (العوالم آبيا אביע ABYA).

Abstract:

The light in the Kabbalistic literature is an essential subject of creation, and it is essential in the process of creation, considering the infinite Creator was called by Kabbalistic studies (Ein sof- אין סוף), Ein sof is an infinite light emanate ten lights, called (Seferot-סיפירות), encompassing all the worlds. There are four worlds called (אביע ABYA).

* - الباحث المُرسل: ismailnahnah7@gmail.com

Ein sof in Kabbalah is the infinite, the only creator, from whom sephirot comes out, and it is ten in number in terms of division, but it has no ending in what it carries of emanations within it. They are also interconnected with each other, as the light is transmitted among all of them from the beginning to the end and from the end to the end. The worlds that are included in the method of issuing the sephirot is about where it will be done according to two methods in Kabbalah. The first is through a specific process called (emanation - אצילות), where the lights were overflow to the first light, that is the first sefirot (Keter) and then, moves to the rest of the sefirot. And the second method appeared later in Lurian Kabbalah, which is (the contraction- צמצום), where he reduces, he will light because he occupies all the places in order to leave space for the appearance of Sefirot, the first of which is the primordial light (אדם קדמון Adam Kadmon).

Search in the nature of the relationship between Ein Sof and Seferot leads us into two considerations: The first: the unity of Ain Sof and Seferot, and they have an essence; The second: It has two opinions: 1. Sefirot is the utensils and the tools of creation, 2. Sefirot is an aspect of the infinite, but it does not represent his essence.

Keywords: Ein Sof, Sefirot, Emination (Atzilut), Tzimtzum, ABYA.

**

1.المقدمة وإشكالية الدّراسة:

لا وجود لاختلاف في اليهودية سواء في المرحلة الربانية أو الكابالية أنّ الله هو الخالق الواحد دون سواه، لكنّ الإختلاف في طريقة الخلق وجوهرها، حيث تحدد الكابالا مفهوما كليا وخاصا عن موضوع الخلق، في محاولة لتقديم تصور كلّي عن الله والخلق الذّي يفيض أو يصدر عنه. كما تقدم مفهوما خاصا للنّور في كونه يعبر عن الخلق والخالق وكل العالم. فاللّه هو اين سوف بمعنى اللاّمتناهي الذّي لاشكل له ولا يمكن تحديده وهو السّبب الأول والنّور اللاّمتناهي الذّي تصدر عنه أنوار عديدة تسميها الكابالا سيفيروت، وهي عشرة في العدد تضم كل الخلق. حيث شكّل مفهوم الله في الدّراسات الكابالية عنصرا محوريا لدرجة أن جميع العالم صار جزءا من الله عبر نظرية الانبثاق التي ظهرت مع كتابات الكاباليين الأوائل عبر سفر يتسيرا وهاباهير ثم الزوهار ليطورها العلماء الكاباليون فيما بعد ذلك عبر آراء جيكيتالا وكوردوفيرو، ثم ما يعرف بالكابالا اللّوريانية لاحقا مع اسحاق لوريا وتلاميدته الذّين نقلوا أفكاره كحاييم فيتال وغيرهم.

هذا المفهوم الجديد للخلق يدفعنا إلى طرح الإشكالية التالية: ماهو مفهوم الخلق في الكابالا؟ في محاولة للعمل على بيان المفاهيم المرتبطة به وجوهرها، وكذا بيان طريقة الخلق الممثلة بالنّور في الكابالا ومراحلها المختلفة، في محاولة تأصيلية للموضوع من مصادره الأساسية في الأدبيات الكابالية. وهذا هو الإشكال الرئيس في هذه الورقة البحثية.

وللإجابة عن هذه الإشكالية نطرح الأسئلة الفرعية التالية:

1. مالذّي يمثله النّور وماهو دوره في نظرية الخلق في الكابالا؟
2. مامعنى اين سوف اللاّمتناهي، ومالذي يجعل منه الخالق الواحد في الكابالا؟
3. ما الطّريقة التي يتم الخلق عبرها، وماهي أشكالها الممكنة؟
4. ما طبيعة العلاقة بين اين سوف وسيفيروت ؟

وللإجابة على هذه التّساؤلات نطرح الفرضيات التّالية:

1. النّور كان موجودا مع اللاّمتناهي قبل الخلق، وهو جوهر الخلق.

2. اين سوف هو الخالق والنّور اللاّمتناهي الذي يصدر عنه الخلق.
3. يتم الخلق عبر صدور أنوار تسمى سيفيروت عن النّور اللاّمتناهي وتحتوي على كل العوالم.
4. سيفيروت هي جزء من اين سوف لكنّها لا تمثل حقيقته وجوهره.

2.أهمية الدّراسة:

تكمن أهمية هذه الورقة البحثية في محالة تقديم مفاهيم منهجية لدراسة موضوع الخلق في الكابالا عبر تتبع مسار الخلق ووسائله من المصادر الأساسية، كما تكمن أهميتها في تقديم مفهوم دقيق عن النّور ودوره في الخلق انطلاقا من فترة ماقبل الخلق، إلى اين سوف النّور اللاّمتناهي الذّي تصدر عنه أنوار سيفروت، وهي محاولة منهجية لبيان أصل الخلق. كما أنّها تمثل مقدمة منهجية لفهم موضوع النّور والخلق الأدبيات العرفانية اليهودية.

3.أهداف الدّراسة:

تهدف هذه الدّراسة إلى مايلي:

1. محاولة بيان أهمية النّور في موضوع الخلق في الكابالا.

2.محاولة العمل على تقديم ممفاهيم مبسطة لمفهوم اين سوف وسيفيروت والمواضيع المترابطة بهما.

3.العمل على فهم وإدراك حقيقة العلاقة بين اين سوف وسيفيروت.

4. هذا المقال مرتبط برسالة الدّكتوراه تحت عنوان: "النّور في الأدبيات العرفانية اليهودية" وهو بمثابة مقدمة منهجية لفهم موضوع الرّسالة، وهو مقدم لاستكمال إجراءات المناقشة.

4.منهج الدّراسة:

المناهج المتبعة في هذه الدّراسة هي: المنهج الإستقرائي من خلال تتبع النّصوص الرئيسية المرتبطة بموضوع النّور والخلق في الأدبيات الكابالية، ثم المنهج التحليلي في فهم النّصوص وبيانها وشرحها؛ والمنهج النّقدي من خلال مناقشة النّصوص ونقدها.

5. الإطار المفاهيمي:

1.5. النّور هو أساس الخلق:

الآيات الأولى من سفر بريشيت (التكوين) توضح موضوع الخلق، ومراحل خلق الله للعالم وصولا إلى الإنسان، فالله هو خالق: "السّماء والأرض والنّور والظّلام والفوضى (التّوهو) والفراغ (البوهو) والرّيح (أو الرّوح) والماء".(Midrash Pirkei DeRabbi Eliezer 3:6) وهو خالق كلّ شيء، و"יוֹצֵר אוֹר וּבוֹרֵא חֹשֶׁךְ: مُصَوِّرُ النُّورِ وَخَالِقُ الظُّلْمَةِ". (أشعياء: 45: 7). فالخلق في الأدبيات الرّبانية هو من نوع الخلق المادي فكل ماذكر هو مخلوق. إلاّ أنّ الدّراسات الكابالية تقدم لنا مفهوما آخر للخلق ولعل بدايته هي من استثناء نسبة الخلق للنّور في آية أشعياء سالفة الذّكر، فالله هنا لم يقل أخلق النّور بل قال أصوّر النّور، بينما نسب الخلق للظلام، وكأنّ هذه الآية استثناء للنّور من بين جميع المخلوقات الأخرى، وفي هذا دلالة على أهمية النّور، ودوره البارز في اليهودية، وسبب هذا الإستثناء كما ورد في سفر هاباهير والزّوهار عن الرّبيّ بون (Rabbi Bun) قال: "للنّور جوهر لذلك يتم استخدام مصطلح "شكّل יוֹצֵר form". أمّا الظلام فليس

له جوهر، وبالتّالي يتمّ استخدام مصطلح "خلق בוֹרֵא create". (Zohar 1:32a:6; Sefer HaBahir 13) وفي هذا دليل على أنّ النّور "صوّره" لجوهره وطبيعته المتميزة عن بقية المخلوقات.

هذا البيان اللّغوي والإعجاز التركيبي المرتبط بإيجاد للنّور يقودنا إلى دراسة النّور ومفهومه حيث نبدأ من أول ظهور له في الكتاب المقدس وهي النّور في سفر بريشيت: " וַיֹּאמֶר אֱלֹהִים יְהִי אוֹר וַיְהִי־אוֹר׃ (בראשית א׳:ג): قال الله: "ليكن نور". فكان نور. (التكوين:3: 1). في محاولة لبيان مفهومه في الأدبيات الكابالية. هذه الآية هي أول ذكر للنّور في الكتاب المقدس، والنّور باللّغة العبرية كما هو واضح في الآية "אור" ويشير إلى معاني متعددة في الدّيانة اليهودية، حيث يكاد يشمل كلّ الدّيانة اليهودية، فهو يعبر عن النّور الموجود في هذا العالم والنّور الآتي، كما يقرره الزّوهار فقوله יְהִי (كان هناك yehiyi) تدل على وجود النّور في هذا العالم وهي كما قال الربيّ يتسحاق (Rabbi Yitzchak) "كان هناك".(Zohar Chadash, Bereshit 1)، وهذا يعني وفق ماقرره الربيّ يهوذا (Rabbi Judah) أنّ "النّور" كان موجودًا بالفعل، كما تدل على ذلك יְהִי "كان هناك"، فهو لم يقل "نزل النّور" بل قال: "יְהִי كان هناك". (Zohar Chadash, Bereshit 2). أي أنّ النّور كان موجودا قبل الخلق، وأنّ الحديث عن ايجاده هو بمعنى عودته وليس خلقه من جديد". (Zohar 1:16b:3)كما أنّه موجود في العالم الآتي ويدل على ذلك كلمة וַיְהִי (vayehi).(Zohar 1:31b:28) ونجد في الزّوهار كذلك: "יהי אור לעולם הזה: ليكن نور في هذا العالم؛ ויהי אור לעולם הבא: واليكن نور في العالم القادم". (Zohar 1:31b:25)

وفي معنى أنّ النّور كان موجودا من قبل معنى عرفانيا، في كون العرفان هو ماكان موجودا في الأزل وظهر للإنسان بالكشف فعرفه، وهكذا هو النّور هنا حيث أنّه كان موجودا من قبل وفق ماتمّ بيانه سابقا، وفي هذا يقول ريكاناتي (Recanati): إنّ الكلمات "وليكن نور" ليست تجديد النّور ولكن عودة النّور ... ".(Recanati, 23 breishit) وهذا مايجعلنا نطرح السؤال التّالي: ماهي طبيعة هذا النّور وأين كان موجودا ليعيد الظّهور من جديد؟

من خلال استقراء نصوص الزّوهار يتبين لنا في أكثر من موضع أنّ النّور هو اللاّمتناهي، فآية "ليكن نور" تلمح إلى اسم إلوهيم (Zohar 1:16b:6)، فلا وجود لأيّ شيء في العالم قبل الخلق سوى اللاّنهائي، وكون النّور لم يخلق كذلك بنص الزّوهار فالنّور يتطابق مع "اللاّمتناهي". ومنه فالنّور في الكابالا يرتبط معناه بالخلق من خلال تشبيه فكرة الفيض الإلهي أو الإنبثاق "סיפירות سيفيروت" الذّي يصدر عن الله "אין סוף اللاّمتناهي". وفي النّقاط التالية سنوضح أكثر ارتباط اللاّمتناهي وسيفيروت بالنّور.

2.6: مفهوم اين سوف "אין סוף":

1.2.6: أصل المصطلح:

אין סוף (اين سوف-Ein Sof) المصطلح الكابالي للإله مشتق من مصطلح ابن جابيرول (Solomon ibn Gabirol) (1021-1070)، "الذي لا نهاية له"(ש -אין לו טיקלה). وهي الفكرة الكامنة وراء وصف الربوبية (The Godhead) في فلسفة ابن جابيرول، فهو يصف الإله بأنّه ليس له حدود أو نهايات، كما شرح ذلك آبلسون (Abelson) في كتابه التّصوف اليهودي، والذي يرى أنّ رأي ابن جابيرول هذا متأثر

بفلسفة أفلوطين (Plotinus) إلاّ أنّه حافظ على عقيدة التّوحيد اليهودية باعتقاده أنّه يجب تحرير الإله من نسب جميع الصّفات إليه ومن ثم لا يمكن وصف الله بشكل صحيح إلاّ من خلال نفي جميع الصّفات. (Abelson, 1913, Chap vi. p. 129-130) كما تم استخدام المصطلح لأول مرة من قبل عزريل الجيروني (**Azriel** ibn Menahem) (حوالي 1160 - 1238)، الذي شارك وجهة النّظر الأفلوطينية القائلة بأنّ الله لا يمكن أن يكون لديه رغبة أو فكر أو فعل، وأكد من خلاله نفي أيّ صفة. (Kaufmann Kohler, Isaac Broydé, EN SOF) وهذا هو الأصل الذي بنى عليه الزّوهار ספר הזהר تعريف אין סוף في كونه لا شكل ولا هيئة له (Neither shape nor form)، ولا يوجد وعاء لاحتوائه (no vessel exists to contain him) ولا أيّ وسيلة تأسره (nor any means to apprehend him)، وأنه - אין סוף- انبثقت من كيانه الجوانب العشرة والتي تُعرف باسم سيفيروت סיפירות، وأوّلها التّاج הכתר الذي سمّاه بالمصدر، وهو ينبوع من النّور لا يستنفد أبدًا، حيث عيّن نفسه من خلاله אין סוף –لانهائي-.(Zohar.2.42b.9) وهذا المصطلح لم يرد ذكره في الكتاب المقدس والتلمود، وهو خاص بالنّصوص الكابالية. (Scholem, 1961, p. 12; Waite, 1902, Book ii, Chap i, p. 36)

ينقسم هذا المصطلح إلى قسمين: אין التي تعني غير موجود، أو نفي الوجود، كما تعني "لاشيء"، و סוף التي تعني النّهاية والحدّ. ليصير المعنى اللّغوي للمصطلح اللاّنهائي (No End)، أي حسب تعبير آبلسون: الإله الذي لا حدود (The Deity is boundless) ولا نهاية له (**E**ndless). (Abelson, 1913, Chap vi. p. 129) وهو مثالي لا ندّ له، نقرأ في أشعياء: "بمن يمكنك أن تشبهني، بمن يمكن مقارنتي؟" (إشعياء 40: 25). وقدرته غير محدودة، كما عبر عنه عزريل الجيروني قال: "اللاّمتناهي المثالي بلا عيب -صاحب القدرة المطلقة- وإذا قلت إنّ قوة الله محدودة وليست قوة غير محدودة - فأنت تنقص من كمال الله". (Azriel, Be'ur Eser S'firot, Section 3. 2) وهو حسب تعبير شولم: "صاحب الكمال المطلق الذي لاتمايز فيه ولا اختلاف -كما أنّه- لا يكشف عن نفسه بطريقة تجعل معرفته ممكنة، أو يمكن الفكر من الوصول إليه، ويمكن استنتاج وجوده كأول سبب لانهائي فقط من خلال الوجود الفعلي للخلق (Scholem ,1978, part i, iii, p. 89)، أي عبر سيفيروت. فـ אין סוף لا نهائي في قدرته وكمال وجوده، لا نهائي في عدم إمكانية إدراك جوهره، لا نهائي في قوة إرادته، لأنّه وفق تعبير آهارون ميئير (Aharon Meir Altshuler) خارج الزّمان والمكان أو أيّ قيود أخرى، ولا حدود له.(The Beginning of Wisdom 1:1) ؛ ورمز الله في اللّغة العبرية هو الألف "אליף" –א- و الألف يدل على أنّه المصدر الداعم لكل الوجود ... كما يدل على القوة والوحدة والتوافق ... وهذه جملة من الأوصاف التي يمثلها אין סוף في الكابالا. (Colville,1916,Chap. ii, p. 29-30; Waite, 1913, Chap iii, p. 29)، وكما ورد في كتاب אור נערב (Neerav Or) لكوردوفيرو (Moshe Cordovero) (1522-1570) أنّ الألف يمثل אין סוף (بلاّ نهاية)، -وهو- سبب كلّ الأسباب. (Cordovero, Or Neerav, part vii Alef 49).

2.2.6: مفهوم אין: "غير موجود"، "لاشيء"، "النّفي"،"العدم المطلق":

مصطلح אין في الزّوهار يشير إلى أنّ الله فوق كل تصور، ويتجاوز الفهم البشري، وهو المجهول الذي لايعرف أيّ أحد مايحتويه (Zohar.3.288b.1-2)، وكأنه "لاشيء" كما يشير إلى هذا كوردوفيرو. (Cordovero, Or Neerav, part vii, Alef 47) ونجد في الزّوهار قوله: "قبل أن يعطي أيّ شكل للعالم، قبل أن ينتج أي شكل، كان وحيدًا، بلا شكل ولا يشبه أيّ شيء آخر لم يكن له شكل ولا شبه ... ويحرم إعارته أيّ شكل أو شبه، أو حتى تسميته باسمه المقدس، أو الإشارة إليه بحرف واحد أو نقطة واحدة ..."(Zohar.2.42b.4)، وفي هذا المقطع من الزّوهار نفي لأيّ صفة عنه، وكأنّه لا شيء أو غير موجود. وهذا المفهوم في حقيقته سلبي لأنّه يجرد الإله من كلّ صفة، لأنّه حسب تعبير آبلسون: "لا يمكنك معرفة ما هو الله، يمكنك فقط معرفة ما ليس هو".(Abelson, 1913, Chap vi. p. 130-2) لأنّه لا توجد علامة عليه بنصّ الزّوهار: "لا توجد علامة على אין סוף لفهمها؛ لا يخضع لأيّ سؤال أو صياغة عقلية ... وهو الأكثر إخفاءً من بين جميع الأشياء المخفية"(Zohar 1:21a:8). فالمخفي الذّي لايخضع لأيّ صياغة عقلية فهو حسب رأي شولم (Scholem Gershom) يتجاوز كلّ العبارات المعرفية، ولا يمكن وصفه إلاّ من خلال النّفي، على أنّه "نفي كلّ النّفي" (العدم) –بحيث- لا توجد صور يمكن أن تتصورها، ولا يمكن تسميته بأي اسم".(Scholem,1997, p. 38)

هذا المفهوم الأخير لشولم –نفي كلّ النّفي-كنتيجة لعجز العقل البشري عن إدراك אין סוף يقودنا إلى مناقشة موضوع (العدم-Nothingness)، حيث يرى شولم أنّ هذا العدم هو الحاجز الذّي يواجه القوة الفكرية البشرية عندما تصل إلى حدود قدرتها. بمعنى أنّه يوجد عالم لا يمكن لأيّ كائن مخلوق أن يفهمه فكريا، وبالتّالي لا يمكن تعريفه إلاّ على أنّه "لاشيء".(Scholem ,1978, Part i, iii, p. 94) وهنا نرى أنّ شولم يوجه مفهوم العدمية نحو عجز وضعف الإنسان لعدم قدرته على الإدراك. ووفق مايقوله شولم: " نظرًا لعدم وجود تمايز في الواقع في خطوة الله الأولى نحو الظهور، لا يمكن تعريف هذه الخطوة بأيّ طريقة نوعية، وبالتّالي لا يمكن وصفها إلاّ بـ "العدم".(Ibid) والسّبب في ذلك كما ذكره كودوفيرو أنّ الله غير معروف للإنسان من حيث المبدأ، والشّيء الوحيد المعروف عنه في هذه الحقيقة الأساسية هو وجوده، لهذا أطلق الكاباليون على إله هذه الحقيقة الأساسية اسم אין סוף، بمعنى (العدم-Nothingness)، مشيرين إلى أنّه من منظور البشرية، لا يوجد "شيء" يمكن للمرء أن يعرفه عنه. (Cordovero, Or Neerav, Introd., 16) والمقصود بعدم معرفة شيء عنه هو استحالة معرفة جوهر الله وذاته، حيث لا يمكن لأيّ كان معرفته، إلاّ أنّه يمكن معرفته عبر سيفيروت كما سبق ذكره في نص الزّوهار السابق -(Zohar.2.42b.9)-.

معرفة جوهر אין סוף وحقيقته غير ممكنة فما يحمله معنى اللاّنهائي من غموض وأسرار لا يمكن من خلالها إدراك جوهره أو حقيقته، ولو كان ذلك ممكنا لنزل اللاّمتناهي غير المحدود إلى عالم الخلق، وصار محدودا صاحب مكان وانتفت عنه الأزلية، لهذا تنصّ الكابالا بوضوح أنّه لا يمكن لأيّ كان معرفة ماهو الله وجوهره، حتى للملائكة المقربين منه، التي تقول: "ألا ترى أنّ الملائكة في الأعالي يقولون: "مبارك مجد الرّب في مكانه"(حزقيال 3: 12). وهو فوق الجميع متسام، غير محدود، نور لانهائي. وهو متعالي وسرّ

أبديّ، يقول آرثر ادوارد وايت (Arthur Edward Waite): "بالحديث بشكل عام عن الله في التّعالي، نتعلم أنّ مجد القدوس سام وهو فوق كلّ الإدراك البشري، بحيث يظل سرًا أبديًا. (Waite, 1913, Chap iii, p. 29)، ويقدم لنا جيتيكالا (Yosef Giqatillah) (1248-1305)، قاعدة عامة أساسية حول هذا الموضوع، يقول: "اعلم أنّ حقيقة جوهر الخالق المبارك لا يفهمها إلاّ الله، ولا يعرف أحد من الكثيرين مكانته، بل وأكثر من ذلك جوهر حقيقته".(Giqatillah, Shaarei Orah. Introd., 6)

3.2.6: אין סוף אור (اين سوف نور):

لا يوجد اسم يمكن توصيف الله به أو بيانه عبره أكثر من النّور الذّي يشمل الجميع ولا يشمله شيء، كما أنّ تسمية الله بالنّور تتوافق تماما مع الرؤية الكابالية لـ אין סוף والخلق، كما تم بيانه سابقا. إضافة للعديد من النّصوص الأخرى حيث نقرأ في المدراش أنّ نور آية التكوين(التكوين: 3 :1) هنا هو الله، وهو نور كلي،كما يقال في (دانيال 2: 22):"ويسكن النّور معه".(Bamidbar Rabbah 15:7-8)، وهو كذلك "نور العالم"(Bamidbar Rabbah 15:5). وينير روح كل إنسان كما نقرأ في سفر زوهار تيكوناي تحديدا (Tikkunei Zohar 73a:2). فالله نور، والسّبب الأول في الخلق الذّي ينير العالم بخلقه للعالم والمخلوقات، وآية النّور في بريشيت وفقا للزّوهار هي أول تفاصيل خلق العالم، حيث صدر العالم عن سرّ نور אין סוף. (Zohar 1:16b:1)، "الذّي لا حدود له، غير المعروف والذّي لا يمكن تصوره".(Zohar 1:20a:3)

ومن خلال النّصوص الواردة سابقا يتضح أنّ هناك نوعين من النّور، الأول هو النّور الآنهائي وهو نور אין סוף؛ والثاني هو النّور الذي يتشكل عبر الخلق وفي روح الإنسان وغيرها، والذّي يمكن تسميته نور الخلق. والموضوع الأساسي هنا هو ارتباط النّور به كنور أزلي وكمصدر للنّور وكخالق للنّور، فلا يصدر منه غير النّور، فهو المنبع الأساسي للنّور وفق المستوى الأول، وأمّا المستوى الثاني فهو النّور الذي يصدر عنه ويتلقاه العالم والمخلوقات، وهي أنوار سيفيروت المنبثقة عنه، وإن كان المصدر هو النّور اللاّمتناهي إلاّ أنّ حلوله في العالم والمخلوقات يطرح تساؤلا جوهريا في البحث حول طبيعة هذا النّور بعد مفارقته للنّور اللاّنهائي، وهل يصير نورا من نوع آخر، أم يحافظ على ارتباطه بالنّور الأول، فتحمل العالم والمخلوقات من خلاله نفس صفات اللاّتناهي والأزلية؟ وإن كانت تلك الأنوار الظاهرة في العالم والمخلوقات هي مايعبر عنه بسيفيروت، فهذه الإشكالية هي ماسيتم مناقشتها في القسم الثالث من هذا المبحث.

إلاّ أنّ هذا النّور لا يرى وهنا نجد أنّ الأدبيات اليهودية الربانية منها والكابالية تشدد على منع الرؤية ومشاهدة الله أو نوره؛ فاللّه لم يسمح لموسى برؤيته، يقول في سفر الخروج: «وَقَالَ» :لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي، لأَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَرَانِي وَيَعِيشُ. (الخروج 33: 20). فالله لم يسمح له برؤية وجهه كما علق الحاخام راشي على هذه الآية (Rashi on Exodus 33:20:1)، والسبب في ذلك أنّ الله أراد أن يري موسى وجهه فامتنع وعندما أراد موسى أن يرى الله لم يسمح له برؤيته وكأنّه عقابا له لأنّه رفض رغبة الله في الاقتراب منه كما ورد في التلمود (Talmud Berakhot 7a:30). أو لأنّه لا يمكن لأحد أن يرى نوره ويعيش لشدة نوره (Talmud Megillah 19b:4). ومن شدة لمعان نور الله أنّ الكلام معه فقط له نور وشدة وهذا مانجده في لقاء موسى مع الله وكلامه معه، ومن شده نور كلماته لبس موسى برقعا إذا كلم بني إسرائيل (راجع: سفر

الخروج: 34: 29-35). ليتطور هذا المفهوم للنّور الذي لايرى ليصير نورا رقيقا غير محسوس، مخفي، مستتر وهو نور אין סוף، كما يقول الزّوهار: "لا توجد علامة على אין סוף لفهمها؛ لا يخضع لأيّ سؤال أو صياغة عقلية. وهو الأكثر إخفاءًا من بين جميع الأشياء المخفية، ومع بداية ظهور אין סוף، أشرق نور رقيق غير محسوس تقريبًا. تم إخفاؤه بواسطة بصمة هشة، دقيقة مثل ثقب الإبرة، وهذا هو سر الفكر المستتر. بقي مجهولا حتى امتدّ النّور منه إلى المكان الذّي طبعت فيه الحروف. كل شيء يخرج من هناك"(Zohar 1:21a:8). ففي هذا إشارة إلى أنّ النّور الذي يصدر عن اللاّنهائي مثل اللاّنهائي مخفي، مستتر، لا يظهر، كما أنّه سبب الوجود، وفي هذه الآية إشارة إلى الظهور الأول وهو سفيرة הכתר (التّاج). ونستنتج من هذا النّص من الزوهار أنّ نور اللاّنهائي مخفي مستتر لا يرى. وأمّا معرفة النّور الإلهي وفهمه فهي لا تتأتى للجميع (راجع نصوص الزّوهار: Zohar 1:7a:6; Zohar 1:7b:5; Zohar 1:66a:2)،ويبقى معرفتها هبة إلهية وعطية مجانية.(Seltzer,1980, p.211) وهذا هو السرّ الذّي يدفع اليهودي إلى العمل على تلقي نور الله، الذي يصير من خلاله اليهودي في المكانة التي خلقهم الله من أجلها، وفي هذا يقول سيغموند فرويد (Sigmund Freud): "ديانة اليهود أعطتهم فكرة أعظم وأجلّ شأنا عن الألوهية، أو بتعبير أدق أعطتهم فكرة إله أكبر وأعظم، وكلّ من كان يؤمن بهذا الإله كان لابدّ بصورة من الصّور أن يشاطره عظمته"(فرويد، 1986، ص: 155)، أو كما يقول الكسندر آلتمان (Alexander Altmann): فالله: "هو ينبوع النّور ... (مزامير: 36: 10) وجميع بني اسرائيل مشمولون في البركة.(Altmann, 1967, p. 188)

ضمن بحث النّور هذا تجدر الإشارة إلى مسألة التنزيه التي ترتبط بالنّصوص المباشرة للكتاب المقدس، حيث رأى بعض العلماء والأحبار اليهوديين تفسيرها تفسيرا باطنيا لتنزيه الله المتعالي عن بعض الصّفات التي تعتبر في ظاهرها نقيصة، ومن هؤلاء بن ميمون (Maimonides) (1138-1204) حيث يقول في هذا: " إمّا أن يحملها على ظاهرها فيكون قد أساء الظنّة بالقائل ... وإمّا أن يجعل لها باطنا فقد أخلص وأحسن الظنة بالقائل ...". (بن ميمون، (5-أ)م، 4-6. ج1، ص10؛ (5-ب)م، 5-7. ج1، ص11؛ (6-أ)م، 21-22؛ ج1، ص11؛ (6-أ)م، 1. ج1، ص12) حيث عمل هذا الأخير على إخراج مفهوم الرؤية والوجه الظاهر في الآيات إلى معنى آخر حيث فسر الوجه بالإدراك. (نفسه، (25-ب)م، 2-7، ج1؛ فصل كا 21. ص51) ويرى أنّ النّور الظاهر على الجبل - وصعد موسى إلى الله(الخروج 19: 3)- هو نور مخلوق محاولا تنزيه الله من كونه له مكان يطلع إليه أو ينزل منه. (نفسه، (20-أ)م، 11-13؛ (20-ب)م، 14-15، ج1؛ فصل ط 9. ص38) وكذلك ماذهب إليه يهودا بن شموئيل هليفي (Judah ha-Levi) (1075-1141) في كتابه الحجة والدّليل، حول النّور حيث رأى أنّ النّور في أصله لا ينسب للذّات الإلهية ف: "الذّات الإلهية أجلّ من أن تقبل الحياة أو الموت، وكما لا تقبل النّور والظلمة. وإذا كان ولا بدّ من إطلاقه عليه فهو على المجاز كوننا لانملك تعبيرا غير ذلك فإننا نستعمله على المجاز مخافة الوهم أن يقول أن ماليس بنيّر فهو ظلام، وإلاّ فذات الله لا تقبل لا النّور ولا الظلمة، فلا يقبل النّور والظلمة إلاّ الأجسام، والذّات الإلهية ليست بجسم فلا توصف بنور ولا بظلمة إلاّ بطريق التشبيه أو لسلب الصفة الناقصة. (هليفي، 2014، ص. 171) وهذا الفكر هو مايعرف بالتّصوف العقلي المبني على الفلسفلة الأرسطية وتأثر اليهودية بالمدارس العقلية الإسلامية في الأندلس، والتّي كانت من الأسباب التي دفعت بالمدارس الكابالية إلى الظهور التي أنقذت

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

العرفان اليهودي من الجمود الذي تعرض له الفكر اليهودي جراء ذلك، إلاّ أنّ الكابالا لم تنفصل بوضوح عن الفلسفة اليهودية إلاّ عبر عقيدة سيفيروت، كما عبر عن ذلك شولم في كتابه "الكابالا"، حيث يرى أنّ التغير كان في تحول: عقيدة الصّفات الإلهية وخاصة "سمات الفعل" باعتبارها متميزة عن "السّمات الأساسية" إلى المفهوم الثيوصوفي للربوبية التي تم تقسيمها إلى عوالم أو "مستويات"، والتي تواجدت على شكل أنوار، وقوى، وذكاء ..."(Scholem ,1978, Part i, iii, p. 104) وهي مايعرف بـ ספירות (سيفيروت).

4.2.6. وحدانية אין סוף:

كل الأوصاف والتّعريفات السابقة التي تمت معالجتها وبحثها من المصادر الكبالية لـ אין סוף النّور اللاّمتناهي الذّي لا ينفذ نوره، ولا يحده شيء، هذه الأوصاف تدل على وحدانيته وتفرده بالخلق، فهو واحد. يقول باروخ سبينوزا (Baruch Spinoza):"يوجد لامتناه واحد، ولا إمكان لوجود لامتناهيين اثنين، وأنّ اللاّمتناهي كامل وثابت لا يتغير".(سبينوزا، 2017، ص. 80) وهذا الموضوع –أي وحدانية אין סוף هي من من بين أهم المبادئ التي يجب على دارس الكابالا معرفتها والإيمان بها، يقول كوردوفيرو: يجب أن يعرف [المبتدئ] أنّ الخالق، אין סוף، واحد وليس له ثان. (Cordovero, Or Neerav, part vi, 1:1) ووحدانية الله مبدأ متجذر في اليهودية، نقرأ في آية السماع، قوله:"اسمع يا اسرائيل! الرّب الهنا الرّب واحد.(التثنية: 6: 4): وهذه آية صريحة على وحدانية الله وأنّه رب واحد؛ فلا يوجد غير كائن أسمى واحد بالنّسبة للكاباليين، كما هو الحال بالنّسبة لجميع الإسرائيليين.(Colville,1916,Chap.i, p. 22)

ومعنى الوحدانية أو إطلاق لفظ واحد على الخالق حسب رأي كوردوفيرو أنّه بداية كل شيء وسببه، وأنه موجود في كل شيء في الواقع ... وهو سبب الوجود [الضروري]، تمامًا كما أنّ [الرّقم] واحد ضروري لـ [جميع] الأرقام، لأنّه لا يمكن لأيّ رقم أن يوجد بدونه. حيث أنّه إذا كان يجب حذف رقم واحد، سيتم حذف [جميع] الأرقام، [بينما] إذا تم حذف الأرقام، فلن يتم حذف الرقم واحد. وهذه هي قوة الوحدة [الإلهية]... –وهو- ليس بحاجة إلى الوجود وهو موجود بذاته..(Cordovero, Or Neerav, part vi, 1:2-3) وهذا هو المعنى الجوهري للتوحيد في أن الله هو السبب الوحيد في إيجاد العالم وهو الخالق الوحيد والملك الوحيد حسب تعبير سفر زكرياء:"ويكون الرّب ملكا على كل الأرض. في ذلك اليوم يكون ربّ واحد باسم واحد.(زكرياء: 14: 9). لهذا وجب احترام الخالق والإيمان به، حيث اقترن هذا الإيمان بالحياة، كما يقول التلمود: "من لا يحترم شرف الخالق كان من الأفضل لو لم يأت هذا الشخص إلى العالم".(Chagigah.16a.11; Kiddushin.40a.18)

ومفهوم الوجود الضروري الذي تحدث عنه كوردوفيرو ظهر في الكابالا اللاّحقة وتفسيرات الكاباليين المتأخرين كلوزاتو (Moshe Chaim Luzzatto) الذّي يرى أنّه يجب أن نؤمن بأنّ هذا الربّ الواحد، واحد وحده، وموحد من جميع النّواحي، وهو الوحيد الموجود بالضرورة ... وهو وحده الذي يتحكم في كل شيء... وكل كائن آخر موجود مرهون عليه.(Luzzatto, Kalach Pitchei Chokhmah, 1:8) "وهذا هو المقصود بوحدة إرادته: أنّه لا يوجد شيء في العالم يمكن أن ينكر إرادته، لأنه وحده هو المسيطر".(Ibid, 1:11) وهنا نجد أنّ لوزاتو يطرح مفهوما خاصا بوحدانية אין סוף بمعنى وحدانية إرادته، حيث يقول: "تكمن

وحدانية عين سوف אין סוף في حقيقة أنّ إرادته فقط هي التي توجد، ولا توجد إرادة أخرى إلاّ من خلاله. لذلك فهو وحده المسيطر وليس أيّ إرادة أخرى ... أو مايسميها الإرادة العليا (הרצון העליון) التي تخلق كل العوالم والكائنات وكل ما يحدث في الكون. (Ibid, 1:3-6)

3.6. مفهوم سيفيروت:

1.3.6. فعل الخلق:

يروى المدراش عن الرّبي ناثان بن العازار (Nathan ben Eleazar) أنّه سأل الربيّ صموئيل (Samuel) قال له: كيف خلق القدوس العالم؟ قال له الربيّ صموئيل: عندما أراد القدوس [أن يخلق] العالم، لفّ نفسه بالنّور كما هو مذكور: עֹטֶה־אוֹר כַּשַּׂלְמָה נוֹטֶה שָׁמַיִם כַּיְרִיעָה: "المتستر بالنّور كثوب الباسط السموات كالسّتار"(مزامير 104: 2). (Midrash Tanchuma Buber, Bereshit 10:1) وفي هذا دلالة على دور النّور في فعل الخلق، ويعتبر الزّوهار هذه الآية تفسيرا لبداية عملية الخلق، حيث يمثل النّور فيها فاعلا أساسيا، فالعالم هو صدور عن النّور اللاّمتناهي. (Zohar 1:16b:1) ومن هنا يمكننا البدء في معرفة أسرار كيفية إنشاء العالم بالتفصيل. وهي البدايات الأولى لظهور אין סוף عبر مظاهر الخلق في العالم، يقول فراس السّواح في كتابه الأسطورة والمعنى: "ثم تقرر الألوهية الخروج من حالة الكمون هذه، فتظهر نفسها من خلال خلق مظاهر الكون، الذي يكتمل في خمسة أيام، وفي اليوم السادس يقوم الإله الذي وعى نفسه الآن من خلال الكون الذي صدر عنه، بخلق الإنسان. (السّواح،2001، ص، 101) فالحالة الأولى التي كان عليها אין סוף هي الكمون والثّبات وأنّ الحركة وتفاصيل بداية الخلق كما يبينها الزّوهار تشير إلى أنّ الفعل صادر من اللاّنهائي فهو السّبب الأول، وأنّ نتيجة هذا الفعل هو الخلق وظهور العالم.

ضمن عملية الخلق فإنّ الظاهر من الأمر هو الانتقال من التجريد إلى المادة، ومن اللاّمتناهي إلى المتناهي، ومن اللاّمحدود إلى المحدود، ومن الأزلية إلى الفناء، ومن النّور إلى الظلام، ومن الوحدة إلى التعددية، ويعبر أفلوطين عن فعل الخلق مشبها إياه بالشّمس قائلا: و"كلّما ابتعدنا عن الشّمس، اقتربنا من الظّلام (المادة)". ويرى أنّ الخلق هو السّقوط من الكمال إلى النّقص حيث التّعددية والتغيير والانفصال. (Thilly,1931, p. 128) فهل هذا ينطبق كذلك على אין סוף والخلق وظهور سيفيروت؟ هذا ماسنجيب عليه في موضوع الانبثاق في النّقطة اللاّحقة.

كما أن لعملية الخلق في الأدبيات الكابالية نظريتين: أ.نظرية الإنبثاق، أي أنّ אין סוף انبثق نوره منه فحصل الخلق عن طريق صدور סיפירות وهذا ماتبناه الكباليون الأوائل، وهو يعبر عن أنّ الخطوة الأولى للخلق حدثت داخل אין סוף؛ ب.وأمّا النّظرية الثانية لظهور סיפירות فهي مايسمى צמצום (الإنكماش) وهي نظرية خاصّة بالكابالا اللّوريانية التي ترى أنّ الحركة الأولى للخلق ليست "انبثاقا" (تدفقًا) بل انكماشا (تقلصًا)، وحدثت خارج אין סוף، وفيما يلي بيان للنظريتين:

أ. אצילות (الإنبثاق):

النّظرية الأولى للخلق وصدور العالم كما نجدها في الزّوهار تتّم عبر فيض نوراني عن النّور اللاّنهائي، حيث أنّ الملك عندما أراد أن ينبثق وفق تعبير الزّوهار، قام بعمل شرارة من نور شديد، ومصدر هذه

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

الشّرارة هو نفسه النّور اللاّنهائي: يقول الزوهار:"انبثقت من أكثر الأشياء المخفية من سرّ النّور اللاّمتناهي" لتشكل بعدها "شكلاً بلا شكل"، ثم أدخلت الشرارة في وسط دائرة لا لون لها. لتصنع هذه الأخيرة ألوانا تتألق في الفراغ. ومن داخل الشّرارة انبثقت نافورة من النّور، تلقت منها الظّلال السفلية ألوانها.(Zohar 1:15a:1) الخلق الأول تم عن طريق عملية الانبثاق التي كان مصدرها هو النّور اللاّنهائي، عن طريق شرارة من النّور الأولي، كما يبين لنا هذا النّص من الزّوهار أنّ عملية الخلق تخضع لإرادة اللاّمتناهي وليست ضرورة، بل يبقى قرارا حرا ولغزا ثابتا وهذا رأي لكوردوفيرو نقله عنه شولم. Scholem) (1978, Part i, iii, p. 91,هذه الشّرارة الأولى التّي يصفها عزريل الجيروني بالبداية الكاملة، وهي قوة منبثقة من اللاّنهائي وهي: 1.كاملة لأنها بداية كل ما تم إنشاؤه؛ 2. جاهزة للإستقبال والتأثير دون أن يتضاءل أو يقلّ نورها، لأنّ قواها كاملة وبدون نقص، لأنّ هدفها هو الشكف عن اللاّنهائي. Azriel, Be'ur Eser) (S'firot, Section 5. 2وهنا يتضّح لنا الهدف الأساسي من الانبثاق وظهور سيفيروت. واللاّنهائي واحد ومصدر الانبثاق والسّيفيروت فهو مصدر قوتها، وهو مصدر قوة الكل، والعكس ليس بصحيح، أو كما يعبر عنه عزريل.(Ibid, Section 6. 1-2) ومن خلال نقطة النّور الصّادرة عن اللاّمتناهي صدرت أنوار أضاءت بقية الأوعية من السفيروت، هذا النّور الأول الذّي يسميه الزّوهار "سر الفكر المستتر" (Zohar 1:21a:8). حيث أنّ جميع السّفيروت-"الأنوار العشرة"- تأخذ نورها عنه، وهذه النّقطة الواحدة هي سرّ البداية كما يصفها الزّوهار. (Zohar.1.15a.5) ويوضح شولم استمرار هذه هذه العملية قائلا: "ولما اتّخذ شكله، أنتج تسعة أنوار متوهجة من شكله، وتسطع منه هذه الأنوار وتنتشر باستمرار من جميع الجهات، مثل مصباح [أو شمعة] ينتشر منها نور من جميع الجهات"، هذه الأنوار التّي رغم كثرتها تعبر عن النّور الأول(Scholem,1997, p. 48) ويصف شولم العملية أنّها مثل الوحي التّدريجي.(Scholem,1972, p. 44)

وكما سبق وطرحنا سؤال حول طبيعة عملية الانبثاق هل تحمل صفة اللاّنهائي الأزلية، أم أنّها كما قال أفلوطين واصفا عملية الخلق هي سقوط من الكمال إلى النّقص؟ من خلال النّصوص الواردة أعلاه يتبين لنا أنّ نور الخلق واحد ولم يكن هناك تقسيم له أو بيان لقطيعة تدل على دونيته أو أنّه لا يمثل النّور اللاّنهائي، بل وصفه الزّوهار أنّه صدر من موضع سرّي في اللاّنهائي في إشارة إلى مدى أهميته وفعاليته في عملية الخلق، كما أنّه حسب ماقاله عزريل الجيروني فإنّ هذه الأنوار مهيئة لمهمة الكشف عن اللاّنهائي - حول الكشف عن اللاّنهائي يقول برنارد بيك (Bernhard Pick):"وهذه العملية أي ظهور אין סוף عبر ספירות هي التّي حولت أو أصبح اللاّنهائي غير المرئي من خلالها مرئيًا ومعقولًا؛ يمكن للعقل البشري أن يعرفه ويتصوره"(Pick, 1913, Chap v, p. 77)- لهذا فنورها لايتضاءل أو يقلّ، لأنّ قواها كاملة وبدون نقص. وفي المقابل فإنّ هذا لا ينقص من اللاّنهائي شيئا. ونجد أصل هذه الفكرة في الفلسفة الأفلوطينية للخلق التي ترى أنّ الكون انبثاق من الله، وهو ينبوع لا نهائي يتدفق منه التّيار دون استنفاد مصدره اللاّمتناهي.(Thilly,1931, p. 127-8) ونقتبس قولا لسبينوزا يدل على هذا الأصل في ارتباط اتصال اللاّنهائي بمايصدر عنه، وهو قوله: "الله، كائنا لامتناهيا إطلاقا، أي جوهرا يتألف من عدد لامحدود من الصّفات تعبر كل واحدة منها عن ماهية أزلية لامتناهية. (سبينوزا،2009، ص.31-32) ومنه فالكائنات

المثلة عبر سيفيروت لا تفنى كذلك فهي مثل الله وتحمل طابعا ألوهيا. (Pick, 1913, Chap v, p. 77)
يمكن القول أنّ هذه الإجابة هي تنزيهية وتعبر عن قداسة اللاّمتناهي في اتصاله بالعالم الذّي يصدر عنه، وهي في دوام اتصال الأنوار مع بعضها البعض ووحدة جوهرها، وهي تندرج كذلك في القول الذّي يرى بوحدة جوهر اين سوف وسيفيروت، وسيتم التفصيل في هذا الموضوع في المبحث الأخير من هذه الورقة.

ب. צמצום (الإنكماش):

الفكر اللّورياني في أصله يركز على النّهاية أكثر من البداية، محاولا العمل على تهيئة الأرضية المناسبة للإصلاح (תִּיקּוּן Tikkun)، إلاّ أنّ اللّوريانية تقدم كذلك مقدمة لهذه النتيجة عبر طرح نظرية צמצום (الإنكماش) حول الخلق، ونتيجة لهذا الفعل ظهرت سيفيروت. وكبيان لهذه العملية للخلق نذكر أصل الفكرة في الفكر اللّورياني كما ذكرها حاييم فيتال (Hayyim vital) (1542-1620) في مؤلفه (עץ חיים Sefer Etz Chaim)، حيث يرى أنّ نّور اللاّنهائي وهو مايسميه "אור עליון פשוט النّور العلوي البسيط" كان في كل مكان، ولم يكن هناك مساحة خالية للهواء الفارغ، فكل شيء كان ممتلئًا بنوره اللاّنهائي البسيط (האור האינסופי הפשוט שלו)، وعندما رغب في خلق العوالم "لنشر اكتمال أفعاله وأسمائهم وألقابهم" اختزل نفسه "انكمش" إلى النّقطة الوسطى التّي تقع في منتصف نوره الحقيقي وقلّل من هذا النّور وابتعد إلى الجوانب حول النّقطة الوسطى، ليشكل بذلك مساحة فارغة وهواء من نقطة الوسط هذه، بحيث كانت مساحة ذلك الفضاء مستديرة من كلّ ما يحيط بها (Hayyim vital, Sefer Etz Chaim, Gate 1:2, 2)، وهنا على عكس الخطوة الأولى للخلق والتي تتمثل في الإنبثاق فإنّ الإنكماش هو عملية تتم داخل اللاّنهائي، فهو ينكمش من أجل إتاحة صدور سيفيروت، وحسب النص المذكور أعلاه فإنّ צמצום تظهر في مكان واحد، بينما يحيط بها אין סוף، يقول لوزاتو: أنّ مظهره اللاّمحدود يُزال من مكان واحد فقط وهذا ما يخضع המצומצם (contraction). (Luzzatto, Kalach Pitchei Chokhmah, 24:8; 24:15) كما أنّ عملية الخلق تقع خارج אין סוף.

ويرى شولم أنّ الإنكماش هي انسحاب جزء من اين سوف من أجل إتاحة حيز خالي من اين سوف يتم فيه الخلق، حيث أنّ هذا الانسحاب يجب أن يسبق انبثاق للسيفيروت. (Scholem ,1978, Part i, iii, p. 129)وهذا الإنسحاب من أجل إتاحة فرصة ليكون بعض من نور اللاّمتناهي مرئيًا، ويسمي لوزاتو هذا النّور بالذّي يُسمح برؤيته بالنّور المنبعث אור נאצל، لأنّه يبدو كضوء متولد حديثًا، لكنّ الحقيقة هي أنّه ليس سوى جانب معين من النّور البدائي האור הקדום، الذّي تقلصت قوته من خلال הצמצום. (Luzzatto, Kalach Pitchei Chokhmah, 25:2) وأمّا الأنوار التي تنبثق جراء هذا الإنكماش فهي بالترتيب: 1.آدم قدمون (אדם קדמון Adam Kadmon)؛ 2.أعضاؤه (His Branches)؛ 3.عالم آتزيلوت-بارتزيفوم (The world of Atzilut – Partzufim).(The Beginning of Wisdom 8.21).

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

2.3.6. تقسيمات العالم:

أ. العوالم الأربعة אבי״ע ABYA:

إنّ الخلق أو السيفيروت الذي ينبع ويصدر من اللاّمتناهي، النّور السرمدي، يقسمه الكاباليون إلى أربعة عوالم تندرج ضمنها كل الانبثاقات، أو السّيفيروت: وهي حسب كوردوفيرو، تنقسم إلى: 1. عالم الانبثاق עולם אצילות (Emanation)؛ 2. عالم الخلق עולם הבריאה (Creation)؛ عالم التكوين עולם היצירה (Formation)؛ عالم الصنع עולם העשיה (Action). ;(Cordovero, Or Neerav, part vi 5:4 The Beginning of Wisdom 7:9, 9:2) واختصارها هو אבי״ע (ABYA). (Cordovero, Or Neerav, part vi 5:2-3، وتسمى بالعوالم فقط لتقريبها من فهم الإنسان.(The Beginning of Wisdom 9:1)

ب. أصل تسميات العوالم אבי״ע ABYA:

يرجع تسميات العوالم الأربعة إلى التوراة، وهي مشتقة من الآيات التالية (وتقسيمها إلى قسمين هنا على اعتبار العالم الأول مشتق من آية واحدة، بينما تشترك العوالم الأخرى في نفس الآية):

1. عالم الانبثاق עולם אצילות (ينطق:Atzilut): مشتق من الفعل العبري: "אָצַל" (atzal)، من آية سفر العدد: וְיָרַדְתִּ֗י וְדִבַּרְתִּ֣י עִמְּךָ֮ שָׁם֒ וְאָצַלְתִּ֗י מִן־הָר֛וּחַ אֲשֶׁ֥ר עָלֶ֖יךָ וְשַׂמְתִּ֣י עֲלֵיהֶ֑ם: ستأخذ من الرّوح التي عليك و تضعها عليها.(سفر العدد 11: 17).

2.العوالم: الثاني: الخلق (Briah)؛ والثالث: التكوين (Yetzirah)؛ والرّابع: الصّنع (Asiya)، مشتقة من الآية في إشعياء (43: 7): כֹּ֚ל הַנִּקְרָ֣א בִשְׁמִ֔י וְלִכְבוֹדִ֖י בְּרָאתִ֑יו יְצַרְתִּ֖יו אַף־עֲשִׂיתִֽיו׃: "لقد خلقته لمجده، لقد شكلته، حقًا صنعته". من الأفعال العبرية الثلاثة: "בְּרָאתִ֑יו: لقد خلقت"، "יְצַרְתִּ֖יו: لقد شكلت"، "עֲשִׂיתִֽיו: لقد صنعت."

ج.تقسيمات אבי״ע ABYA:

العوالم الأربعة كما رأينا مسبقا تم تقسمها إلى قسمين اثنين على اعتبار مواضع الاشتقاق، إلاّ أنّ التقسيم يستمر معنا في هذه النقطة على اعتبار العوالم الأزلية المرتبطة بـ אין סוף، والعوالم المخلوقة، وننقل هنا المصدر الأساسي لهذا التقسيم كما ورد في (Tikkunei Zohar 17a:2):"افتتح إيليا النّبي المبارك وقال: سيد العالمين الخفيّ الأبديّ! أنت هو وحدته المطلقة اللاّنهائية، وبالتّالي فهي غير قابلة للتجزئة. أنت هو(السبب الأول)، متسام فوق كل ما فوق، ومستتر وراء كل ما هو مستتر. لا يوجد فكر على الإطلاق يمكنه استيعابك. لكنك أنت الذّي أدخلت عشرة تصحيحات עֶשֶׂר תִּקּוּנִין نسميها العشرة سفيروت أتزيلوت עֶשֶׂר סְפִירָן אצילות، التي من خلالها تنظم (إنارة نورك القوية التي تتدفق من خلالها) عوالم خفية لم تنكشف: (عالم آدم قدمون وأتزيلوت אדם קדמון ועצילות)، بالإضافة إلى عوالم تنكشف: (بريا، يتسيرا، وآسيا הבריאה, היצירה, העשיה). في الواقع، من خلال هؤلاء (العشرة سيفيروت لكل كون) يتم إخفاءك عن البشر (حتى يتمكنوا من الوجود ولا يطغى عليهم نورك). أنت الذّي يربط سيفيروت

بعضهم ببعض، وأنت من يوحّدهم (لنفسك). وبما أنّك بداخلهم، فإنّ من يفصل أحدًا عن الآخر يُعتبر أنّه أحدث فيك انفصالًا (ووحدتك المطلقة)". وبناء على هذا النّص أعلاه تنقسم هذه العوالم إلى قسمين:

القسم الأول: العوالم الخفية غير المخلوقة: وهو عالم آتزيلوت خاص بنور אין סוף، وهو عالم غير مخلوق، وعالم آتزيلوت يرتبط بسلوكيات الربّ، والطرق التي يرغب في التصرف بها، وكذلك إرادته، وعنايته، وأسمائه، وكلها يمكن تمييزها من خلال أفعاله. (Zohar 3:276b:11; The Beginning of Wisdom 7:9; 9:1; 9:22; Or Neerav, part vi 5:4) وعالم آدم قدمون وهو نور أوجده النّور اللاّنهائي أول الخلق ثم أخفاه للصّالحين آخر الزمان، يظهر عند إكتمال التصحيحات وظهور المسيح.

القسم الثاني: العوالم المكشوفة المخلوقة: وهذا العالم يضم العوالم الثلاثة المتبقية وهي عوالم خلوقة، وأول وأعلى العوالم المخلوقة هو (Briah)، لأنّ (Atzilut)، كونه انبثاقًا للرّب هو بمعنى ما امتداد له. عالم (Briah) أنثوي بالنّسبة إلى (Atzilut)، وقبل خطيئة آدم، كان الاثنان في حالة (زيفوغ Zivug)، وهي اتحاد جانب الذّكر والأنثى، حيث يعطي الواحد والآخر يأخذ، لكن خطيئة آدم أدّت إلى انفصالهما. وهذا معنى القول في الزّوهار بأنّ المطرونية מַטְרוֹנִיתָא (Matronita) انفصلت عن زوجها. تسمى (Briah Matronita) الأم لأنّها أعلى وأول العوالم المخلوقة التي تصدر منها. (Zohar 2:52a:3; Zohar 3:98a:3-4; Zohar 3:98b:2-3)، وبالمثل، غالبًا ما تقارن التّوراة العلاقة بين الربّ والشعب اليهودي بعلاقة الرّجل والزّوجة. (The Beginning of Wisdom 7:9; 9: 1-13; Tikkunei Zohar 17a:5) وطبيعة العوالم المخلوقة أنّها تتطابق مكوناتها مع السلوكيات الإلهية لأتزيلوت وتعمل كقنوات للنّور، وهي تتوافق مع السفيرات العشر لأتزيلوت. لذلك يشار إليهم بشكل مجازي باسم العشرة سفيروت من (Briah)، والسفيروت العشر من (Yetzirah) وما إلى ذلك.(The Beginning of Wisdom 9:20)

3.3.6.ظهور ال10 سيفيروت:

كما سبق بيانه في (Tikkunei Zohar 17a:2) فإنّ سيفيروت تصدر عن اللاّمتناهي السبب الأول، وأنّ العالم المسؤول عن الانبثاق هو عالم الانبثاق آتزيلوت (Aẓilut)، ومنه تنبثق العشر سيفيروت لا نهاية لها:"هذه الأعداد العشرة، لها عوالم لا حدود لها، أصل ونهاية لا حدود لهما".(Sefer Yetzirah 1:5)، ووفق ماقرره عزريل الجيروني و كوردوفيرو أنّ אין סוף بدأ عملية أطلق عليها الكباليون اسم (Aẓilut)، والتي حدثت في نظام من עשר ספירות عشرة سيفروت، حيث يمثل السّفيروت ككل الله كما يختبره البشر. (Be'ur Eser S'firot, Section 2. 2; Or Neerav Introd., 17) ومن نص كتاب الخلق وأقوال كوردوفيرو وعزيريل يتضح أنّ: 1.سيفيروت هي تجلي للاّنهائي في صورة تسمح بمعرفته، فهي تمثل اللاّنهائي؛ 2.سيفيروت هي عشرة، إلاّ أنها لها عوالم لا حصر ولا حدّ لها، ولأنّها تعبر عن اللاّمتناهي فمن باب أولى أن تحمل صفة اللاّتناهي فتحمل عوالم لا حصر لها. يقول شولم في تعريفه للسّيفيروت وطبيعتها: "يتجلى الإله المخفي אין סוף، أمام الكاباليين تحت عشرة جوانب مختلفة، والتّي بدورها تشتمل على مجموعة لا حصر لها من الظّلال والتدرجات اللّونية، كل درجة لها اسمها الرّمزي الخاصّ، بما يتفق بدقة مع مظاهرها الخاصة، ويشكل مجموعهم الإجمالي بنية رمزية معقدة للغاية، حيث تتوافق كل كلمة في الكتاب المقدس تقريبًا مع واحدة من السيفييروت".(Scholem, 1961, p. 209) وكلام شولم الأخير هذا فيه إشارة إلى

المصدر الأساسي للرقم عشرة للسيفيروت في الكابالا وهي الكتاب المقدس، ولها أصل في المدراش (Bereishit Rabbah 17:1) وتيكوناي زوهار (Tikkunei Zohar 120a:8; Tikkunei Zohar 121a:8) وهي عشرة في العدد (Sefer Yetzirah 1:3-4; Zohar 3:277b:2; Be'ur Eser S'firot, Section 4. 1-2; Or Neerav, part vi 1:5-6)، وفيما يخصّ معنى مصطلح سيفيروت فهو يعني الأعداد – Mispar، وأصل التّسمية ترجع لآية: הַשָּׁמַיִם מְסַפְּרִים כְּבוֹד־אֵל וּמַעֲשֵׂה יָדָיו מַגִּיד הָרָקִיעַ: السموات تحدث (מְסַפְּרִים : تعد-me-Saprim) بمجد الله. (مزمور 19: 2)، كما ورد في سفر هاباهير.(sefer habahir. iv:125) إلاّ أن شولم يرى أنّ مصطلح سيفيروت ليس مرتبطًا باليونانية (sphere ogaipa)، ويرجعه إلى الكلمة العبرية (sappir) (الياقوت) الواردة في سفر هاباهير، بدليل أنّ إشراق الله يشبه إشراق الياقوت. (Scholem, 1978, part i, iii, p. 99-100)

عالم سيفيروت يمثل كما يقول آهارون مئير (Aharon Meir Altshuler): "تلك الملكات الإلهية التي يستخدمها الله لخلق وتسيير العوالم. (The Beginning of Wisdom 1:4) وهو حسب مايراه سيدني اسبنسر (Sidney Spencer): "العالم الخفي للغة الإلهية الذّي يقوم عليه الكون الهائل. وهما يمثلان كلا المرحلتين: من الحياة الخفية للإله ووسيلة إعلانه عن ذاته للإنسان، وهي قنوات أو "انبثاق" للنّور الإلهي حيث يصبح الله المتعالي جوهريًا في العالم.(Spencer, 1963, p. 190)

4.3.6.أسماء سيفيروت:

النّور اللاّنهائي الذّي ولد شرارة وصدرت منها أنوار لا تنتهي ولا تنقص من نور اللاّنهائي شيئا، فيما يعرف بالنّور الأول المسؤول عن الخلق، هي مايعرف في السّيفيروت بالسّفيرة الأولى وهي التّاج (the Crown) הכתר (Keter) وهي المسؤولة عن انبثاق السّيفروت الأخرى، يقول الزّوهار وبنفس هذه الحكمة، استمدّ سبب الأسباب الجوانب العشرة لكيانه والتي تُعرف باسم سيفيروت، وأطلق على التّاج اسم المصدر، وهو ينبوع من النّور لا ينضب أبدًا، حيث عّين نفسه من خلاله عين سوف، لانهائي.(Zohar 2:42b:9)، وهي التي حددت نقطة الانتقال بين אין סוף ونظام سيفيروت. تليها بقية السيفيروت وفق الترتيب التالي: الحكمة (wisdom) חכמה (Ḥokhmah)، والفهم (understanding) בינה (Binah)، ويمثلان مبدأ الذكر والأنثى على التوالي. وعن طريق اتّحاد الحكمة والفهم (Ḥokhmah and Binah) أنتجوا السّبعة سفيروت الأخرى، وهي: العظمة (greatness) חסד (Gedulah/Hesed)، أو الرّحمة (mercy) (Raḥamim)؛ القوة (might) גבורה (Gevurah)؛ المجد (glory) ת״ת (Tiferet)؛ الانتصار (triumph) נצח (Neẓaḥ)؛ الرّوعة (splendor) הוד (Hod)؛ مؤسسة (foundation) יסוד (Yesod)؛ مملكة (kingdom) מלכות (Malkhut).(Cordovero, Or Neerav Introd., 17) ونشير هنا إلى أنّ أسماء السيفيروت في الأدب الكابالي القديم تتوافق مع العدد عشرة في تعدادها، ففي سفر هاباهير لها نفس التّسميات، وهي أواني أو تيجان أو كلمات تشكل بنية داخلية للربوبية (sefer habahir. iv:141-6; iv:152-9; iv:168-71)، أمّا سفر يتسيرا فتسمياتها أقرب إلى الكتاب المقدس (Sefer Yetzirah 1:9-14)؛ بينما يشبه آرزيال الجيروني جوهرها بالألوان.(Azriel, Be'ur Eser S'firot, Section 9. 1-2)

نلاحظ في سفر يتسيرا وفي النّصوص الكابالية القديمة أنّ السيفيروت هي أعداد حية يُنظر إليها على أنّها انبثاق إلهي، بينما تختفي أهميتها العددية في الزّوهار وتوصف عادة بأنّها "درجات" أي درجات القوة الإبداعية أو الظهور الإلهي.(Spencer, 1963, p. 190) وهذا المفهوم للسيفيروت في الزوهار هو مانركز عليه في بياننا للسّيفيروت.

كل سفيرة من هذه السفيروت السابقة الذكر هي انبثاق من אין סוף. والسّيفيروت مترابطة مع بعضها البعض وهيّ وحدة كاملة في عملها، ولا وصف لها، وهي مثل النّار في لمعانها، ولأنّها تصدر من اللاّنهائي فهي تحمل هذه الصفة، نقرأ في סֵפֶר יְצִירָה سفر يتسيرا: "هؤلاء السيفيروت العشرة التي لا توصف، والتي يكون مظهرها مثل النيران المتلألئة، ليس لها نهاية ... يطيعون الأمر الإلهي، يندفعون كزوبعة، ويعودون إلى السّجود على عرشه.(Sefer Yetzirah 1:6) وفي هذا بيان أنّها وسيلة خلق يستخدمها الخالق اللاّمتناهي لتنفيذ إرادته. وهم –أي سيفيروت-"لا يوصفون، نهايتهم مع بدايتهم، ملتصقين، كما هو الحال مع اللّهب بفحم مشتعل: لأنّ إلهنا متفوق في وحدته، ولا يسمح بأيّ واحد آخر. ومن يمكنك أن تضعه أمام الواحد؟ (Sefer Yetzirah 1:7) فهي مترابطة، متحدة، متصلة ببعضها البعض، بدايتها نهاية ونهايتها بداية، تنفذ الأمر الإلهي التي انبثقت من أجله. وعلى الرّغم من الترابط والتكامل في العمل الذي يميز جميع السيفيروت بنص كتاب الخلق، إلاّ أنّ الكاباليون يميلون في تركيزهم على على العلاقة بين تيفريت وملكوت (Tiferet and Malkhut)، وكان يُنظر إلى تيفريت على أنّها السفيرة المركزية ومبدأها ذكوري، وفي اتحادها مع ملكوت وهي مبدأ أنثوي، حدد هذا الإتحاد نقطة الإنتقال بين عالم سيفيروت والكون المخلوق. ومن خلال هذا الإتحاد كذلك تدفقت الطاقة الإلهية التي خلقت الكون وحافظت عليه، حيث كان تدفقا لا انقطاع له وبسبب الخطيئة انقطع هذا التدفق والاتحاد كذلك. ليتشكل بذلك عالم مضاد لعالم سيفيروت، وهو عالم الشرّ المعروف تحت اسم الجانب الآخر סיטרא אחרא (Sitra Achara). (Cordovero, Or Neerav Introd., 18)

ويظهر سيفيروت في الأدبيات الكابالية على أشكال مختلفة تحددها النّصوص الكابالية، ويمكن إجمالها في ثلاث أشكال؛ الشكل الأول هو مخطط الأعمدة المستقيمة (עשר ספירות דיושר Esser Sefirot D'Yosher) (Ten Upright Sefirot)، ويشير إلى العناية الإلهية الفردية، والشّكل الثاني هو الدوائر (עשר ספירות דעגולים)، ويشير إلى العناية الإلهية العامّة (Hayyim vital, Sefer Etz Chaim, Gate 1:2, 1; The Beginning of Wisdom 1:17-19)؛ أمّا الشّكل الثّالث هو الشّكل الإنساني.(Tikkunei Zohar 17a:3-5)

4.6.هل سيفيروت هي אין סוף ؟:

1.4.6. تمهيد:

إنّ ما تم بيانه سابقا من أدلته الثابتة من النّصوص الكابالية يبين أنّ سيفيروت وإن كانت تعبر في حقيقتها عن ظهور اين سوف للعالم والإنسان، إلاّ أنها تحمل من مواصفات اللاّنهائي، كالأزلية والديمومة، والنّور. كما أنّها تعبر عنه حقيقة فعندما نرجع بصفة عكسية من مالكوت نحو كيتر فإنّنا نصل إلى אין סוף النّور الأول، الأزلي، الذّي لا شكل ولا هيئة له (Zohar.2.42b.9.)، وكما ورد في سفر يتسيرا فإنّ

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

سيفيروت كذلك لا نهاية لها، ولا توصف، إلاّ أنّها تطيع الأمر الإلهي وتسجد أمام عرشه (Sefer Yetzirah 1:6)، وهذا يقودنا إلى طرح إشكالية تتمثل في البحث حول ماإذا كان السيفروت هي اللاّنهائي نفسه، أم مجرد أداة أو وعاء يستخدمه في خلقه؟. ومن خلال استقراء المصادر يمكن لنا تقسيم هذا الجزء من البحث إلى ثلاثة أقسام:الأول يعبر عن وحدة אין סוף وسيفيروت حيث يمثلان كلا واحد، والرأي الثاني يعتبر سيفيروت وعاء للنّور الإلهي وأداة خلق، ولا تعبر عن جوهر אין סוף. والثالث وهو رأي لكوردوفيرو والدراسات الكابالية الحديثة في دراسات لوزاتو كونها تمثلهما معا.

ومنن بحث هذه الفروقات الكابالي التقليدي كودوفيرو في كتابه المشهور פרדס רמונים (Pardes Rimonim) الذي ناقش هذا الموضوع المتربط بالعلاقة اين سوف وسيفيروت في الباب الرّابع من مؤلفه المذكور، حيث ناقش رأي كلا من (R' Menachem of Recanti) الذي يرى بأنّ سيفيروت هي أوعية وليست اين سوف ولا تمثل جوهره، والرأي الثاني لـ (Rabbi R. David) الذّي يعتبر سيفيروت جوهرا مثل اين سوف، والرأي الثالث كوردوفيرو نفسه الذي يعتبرهما مزيجا من الاثنين (جوهرا وأداة في نفس الوقت)، وهذا القسم من البحث نناقش فيه هذه الآراء من أدلتها.

2.4.6. وحدة جوهر אין סוף وسيفيروت:

الرّأي القائل بأنّ אין סוף وسيفيروت وحدة واحدة يمكن التدليل عليه بالعديد من النّصوص في الأدب الكابالي، ومنه ارتباط الإسم الإلهي يهوه (יהוה YHVH) بالإنبثاقات العشر، هذا الإسم الذي يقول عنه كارب (S. Karppe): "لعب الاسم المكون من أربعة أحرف أو يهوه منذ فترة التّلمود دورًا رئيسيًا في التّصوف النّظري وأيضًا وقبل كلّ شيء في التّصوف العملي.(Karppe, 1901,Chap iii, p. 72) كما أنّ له أهمية بارزة لما يحمله من معاني الرّحمة واللّطف كما ورد ذلك في المدراش والزّوهار،:"وعندما أرحم عالمي، أُدعى (יהוה YHVH).(Zohar.2.42b.5). كما أن جميع الأسماء المقدسة في التوراة ترجع إليه، يقول جيكاتيلا: "واعلم أن جميع الأسماء المقدسة المذكورة في التوراة تعتمد على الاسم المكون من أربعة أحرف وهو (יהוה YHVH). ومجمل النّصوص الواردة في الزّوهار حول الإسم يهوه وتركيبة اسمه الكابالية وارتباطها مع السيفيروت والعوالم الأربعة(Zohar 1:16b:4-5; Zohar 1:16b:7; Zohar 1:16b:24; Zohar 1:17a:1-2) تدل على أنه يمثل كل السّيفيروت وانبثاقاتها، وهو ماقام الكاباليون ببيانه وفق مايلي: حرف (Yod) (The tip) يمثله (Keter)؛ (the body of the Yod) يمثله (Chochmah)؛ حرف (Hey) الأول يمثله (Binah)؛ حرف (vav) يمثله ستة سيفيروت زير أنبين: Zeir Anpin: Hesed؛Gevurah؛Tiferet؛Neẓaḥ؛Hod؛Yesod)؛ حرف (Hey) الأخير يمثله (Malchut). (The Beginning of Wisdom 3:4) وهنا نجد أنّ اشتمال الإسم العظيم يهوه في الزّوهار لكل السّيفيروت لا يدل إلاّ على وحدة אין סוף مع السّيفيروت التي تمثل كلّ العوالم. يقول عزريل الجيروني:"وكلّهم من اللاّنهائي. لا يوجد شيء خارج الله".(Azriel, Be'ur Eser S'firot, Section 3. 1-3) فـ: "אין סוף هو كلّ شيء؛ وبالتّالي كل شيء هو אין סוף".(Maeterlinck, 1922, Chap viii, p. 172) فالسيفيروت على رغم أنّها مراحل ولها تعداد وتسميات كما وردت في الزوهار إلاّ أنّها كما يقول شولم: "لا تعتبر درجات سلم بين الله

والعالم، ولكن باعتبارها مراحل مختلفة في ظهور الألوهية التي تنطلق من بعضها البعض وتتبع بعضها البعض".(Scholem, 1961, p. 209) فهي ليست إلاّ مظاهر للألوهية في أشكال مختلفة، ولا تختلف عن الجوهر اللانّهائي. وهو نفس الرأي الذي يعبر فرانك (Ad. Franck) بقوله: "إنّ ما يسميه الزّوهار אין סוף أي اللاّنهائي نفسه، هو فقط كلّ السيفيروت، لا أكثر ولا أقل"؛" وكل واحدة من هذه ليست سوى وجهة نظر مختلفة لهذه اللاّنهاية"، ويقدم فرانك توصيفا للنّور الإلهي بنور الشّمس الذي لاتتغير طبيعته بالبيئة التي يمر بها.(Franck, 1892, part ii, Chap iii, p. 135-6) ، ومن بين أنصار هذا الرّأي (Rabbi R. David) الذّي يعتبر سيفيروت جوهرا مثل אין סוף، كما نقله عنه كوردوفيرو، و من بين أدلته في ذلك أنّ الله واحد، ولا يجوز القول بالتّعددية في الله، وأنّ الصّفات الموجودة في سيفيروت يمكن نسبتها إلى الله. وأنّ تلك الكثرة تدل على الوحدة باعتبار المصدر الواحد، وعليه فلا فرق بين البداية والنّهاية. (Cordevero, Pardes Rimonim.4.2.1-4)

3.4.6. سيفيروت أوعية وأدوات خلق:

الرأي الثّاني القائل بأنّ سيفيروت هي مجرد أوعية وأدوات للخلق له أدلته من الأدب الكابالي كذلك، ومن خلال دراسة الزّوهار نجد النّص التالي حول سيفيروت: "كل شيء في سلطته، سواء اختار تقليل عدد الأواني، أو زيادة النّور الصادر منها، أو العكس، لكن فوقه، لا يوجد إله له قوة الزيادة أو النّقصان".(Zohar 2:43a:2) هذا المقطع من الزّوهار يشير إلى أنّ سيفيروت هي أواني تستقبل نور اللاّنهائي، وتخضع لسلطته، وهو اللاّنهائي، صاحب القدرة المطلقة على التقليل أو الزيادة في النّور الصادر منها، ولو كان لها قدرة على فعل ذلك لقال: "تغير نورها بنفسها تزيده أو تنقصه"، أو لما ذكر على الإطلاق أنّ نورها يحتاج إلى تدخل، مؤكدا على قدرته المطلقة وعدم امتلاكها –أي سيفيروت- لأيّ قدرة أو إرادة بقوله: "لايوجد فوقه إله له قوة الزيادة أو النقصان". ومنه فهذه السيفيروت هي أواني أو أدوات مستقبلة فقط للنّور، وتخضع لسلطة اللاّنهائي المطلقة، فكل الوجود انبثاق منه.

الربيّ مناحيم ريكانتي (R' Menachem of Recanti) في كتابه "أذواق ماتساح טעמי המצות"، يرى كذلك أنّ سيفيروت ليست جوهر אין סוף، هذا الأخير الذي لاحدود له، بينما سيفيروت محدودة. لهذا فإنّ مانقوله في سيفيروت لا نستطيع قوله في الخالق، لأنّها تشبه الأداة التي يعمل بها، فالله مثل الرّوح لا يتغير، لكن الجسد –أي سيفيروت- تتغير. حيث أنّ سيفيروت بدون אין סוף لا قدرة لهم على فعل أيّ شيء، بل ويحصلون على قدرتهم وحركتهم منه، بينما אין סוף لا يحتاج لأحد. (Cordevero, Pardes Rimonim.4.1.4-6) وهنا يشبه الربيّ ريمانتي الله بالروح الخالدة، وسيفيروت بالجسد الفاني الذي يلحقه التّلف والفناء هذا أولا، وثانيا الجسد الضعيف الذي يحتاج إلى روح تحركه، فلا وجود لجسد بدون روح بينما توجد الرّوح بدون جسد. في علاقة المحرك والآلة، الفاعل وأداة الفعل. وثالثا: في موضوع التعريف فالروح لايمكن إدراكها أو تعريفها أو حتى الوصول إلى حقيقتها وهذه هي صفات اللاّنهائي، الخفي، المستتر، بينما الجسد يمكن تعريفه، وإدراكه، وتسمية أعضائه، وفي هذا التمثيل إبداع كبير، فللاّنهائي روح واحدة ولا يمكن تعريفها، بينما السيفيروت جسد لهذا نجد نصوص الزوهار تمثل العشرة سيفيروت بالجسد، وتسمي كل عضو باسمه وتنسبه للسّيفيروت بأسمائها.

كما أنّ الحديث عن النّدية ووحدة الجوهر أمام اللاّنهائي صاحب القدرة والإرادة المطلقة غير ممكن الوقوع، إذا ماهي الصّفة التي تحملها سيفيروت في نسبتها للاّمتناهي كانبثاق من نوره؟ الجواب عن هذا السؤال أنّها تمثل صفاته التّي يعرف بها اللاّمتناهي عن نفسه من خلالها، من أجل أن يتمكن الإنسان والخلق من معرفته لأنّه أراد هو ذلك، ولم يفعل ذلك سوى لأنّ العقل البشري لا يستطيع إدراك اللاّنهائي بعقله القاصر، فكيف تكون سيفيروت هي اللاّنهائي نفسه ويتمكن هذا العقل القاصر الذي لم يدرك اللاّنهائي أولا أن يدركها؟ إلاّ إذا كانت سيفيروت غيره، ودونه، ولا تعدو كونها صفات. يقول فرانك: "العشرة سيفيروت، التي من خلالها يُعرّف الكائن اللاّمتناهي عن نفسه أولاً، ليست سوى صفات ليس لها في حد ذاتها حقيقة جوهرية؛ في كل من هذه الصفات، يكون الجوهر الإلهي بأكمله حاضرًا، ويشكل ككل أول وأكمل وأعلى جميع المظاهر الإلهية". (Franck, 1892, part ii, Chap iii, p. 132-3) فاللاّمتناهي غير قابل للمقارنة في جوهره مع سيفيروت فهو كما يقول آبلسون: "كل الوجود انبثاق من الإله، ويظهر الإله نفسه في كلّ الوجود لأنّه جوهري فيها، ولكن مع أنّه سكن فيهم فهو أعظم منهم، وهو بعيد عنهم، ويتجاوزهم".(Abelson, 1913, Chap vii. p. 136)

4.4.6. سيفيروت هي مزيج من الاثنين (جوهروأداة):

الرّأي الثالث الذي تبناه كوردوفيرو وهو أنّ سيفيروت في حقيقتها لها جانبان، الأول روحي وجوهري في النّسبة للنّور اللاّمتناهي، والثّانية هي كونها أداة ووعاء بالنسبة لطريقة العمل او الظهور، ويرى أنّ اين سوف وسيفييروت في عملهم هم وحدة كاملة، لكن لها جانبان: الأول روحي (داخلي) والثاني مادي (خارجي)، ولا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض، فسيفيروت هي جزء من قوّة اللاّمتناهي تتحد فيه ويمثلون كلّهم معا وحدة كاملة، مثل العجلة والقوة التي تحركها، فالرّوح التي بداخلها هي المحرك الحقيقي وكلاهما يمثلان حركة العجلة. فسيفيروت هي الأواني التي تتغير حسب عملها، والنّور بداخلها هو جوهر الأنوار العشرة مع حفاظ هذا النور "الجوهر" على أصالته فهو لا يتغير، والشيء الوحيد المتغير هي طبيعة الفعل المسلط على الأواني التي تتشكل عبرها.(Cordevero, Pardes Rimonim 4.4.1-2; 4.4.4-6)

ويقدم كوردوفيرو جملة من الأمثلة: **1**.كالشّمس وإشعاعاتها حيث يرى أنّه لا يمكن فصل الشّمس عن نورها بأيّ وجه من الأوجه، وهذا النّور الصادر عن الشّمس لا يمكن القول أنّه صار نورا آخر أو تغير هذا أولا، وثانيا نور الشّمس يحمل شكل الفوانيس التي يسلط عليها بأشكالها وأحجامها وألوانها، وثالثا نور الشّمس لا لون له، ومايقع من نور للرائين حسب مايتلقونه عبر الفوانيس "الأوعية" هو ماتغير وليس جوهر النّور. ورابعا: نور الشمس إذا وقع على الأجسام ومر عبر الفوانيس فهو يزداد وينكسر ليشكل عددا لامحدودا من الأنوار.(Ibid, 4.4.4-5) والمثال الآخر الذي يقدمه وهو **2**. الماء فعند تقسيمه على أوعية يختلف لونه فيها حسب ألوانها، لكنّ أصل لون الماء ثابت، وهذا التغيير يخضع لقيمة الأوعية نفسها وليس لقيمة الماء.(Ibid, 4.4.2-3) والمثال الثالث الذي طرحه **3**. الرّوح والجسد: حيث يرى أنّ الرّوح تمثل جوهر وقوة الخالق، بينما يمثل الجسد الأدوات التي تخضع للفعل، وتسري فيها الروح، ويرى أنّ قوة عمل الأعضاء تعتمد على الرّوح التي تنيرها وكل الروح في الأعضاء هي واحدة وجوهرها واحد، والإختلاف فقط في

الوظيفة والعمل الذي تقوم به –فعمل العين غير عمل اليد وهكذا- وتغيير الفعل ليس في الروح، بل في الفعل فالرّوح هي الجوهر التي تنير السيفيروت وتمنحها القدرة على الفعل.(Ibid, 4.4.7-10)

يقول شولم كتعليق على هذه الرؤية التي يتبناها كوردوفيرو بأن ماحاول هذا الأخير القيام به هو إعادة تلخيص النظرتين المتعارضتين حول اللاّنهائي وسيفيروت، وإعطاء قدر معين من الحقيقة لكل منهما. فلا يمكن تمييز الرّوح (الجوهر) عن الجسد (الأوعية) إلاّ بشكل مجردة وفي الواقع لا يمكن فصلهما على الإطلاق عندما يعملان معًا، وبالتالي فإنّ للسفيروت جانبان، أحدهما "الجوهر" والآخر "الأواني".(Scholem, 1978, part i, iii, p. 102) في الحقيقة يمكن القول أنّ الرأي الذي تبناه كوردوفيرو معتبرا إياه جمعا بين الرأيين، وعلّق عليه شولم مؤكدا ذلك، لا يمكن اعتباره رأيا ثالثا على الإطلاق، لأنّه لا يناقش علاقة اللاّتناهي والوحدانية والإذغام بين اين سوف وسيفيروت بل يبحث في سيفيروت نفسها وطريقة عملها، معتبرا أنّه لها حقيقة واحدة تمثلها الرّوح والمادّة، ولا يمكن لأيّ منها أن تنفصل عن الأخرى، وهذه بديهية طبيعية لهذا لم يجد غير الأمثلة من الطبيعة للتدليل على ذلك، بينما حقيقة اللاّنهائي وسيفيروت هي حقيقة مجردة لا اعتبار لها على أرض الواقع، فلن تجد شيئا اسمه "كيتر" أو "تيفيريت" أو غيرها، حتى الغنسان الذي يتشكل من روح ومادة وإن كان خلقه على "صورتنا" "وشبهنا" إلاّ أنّها تبقى تنسب للإنسان، وإلاّ فعلى من سيقع التناسخ لاحقا لتطهير هذه الأرواح، والتي تتندس بالخطيئة كذلك؟ وروح اللاّمتناهي ليست كذلك؟ ثم قبل هذا كيف استطاعت الخطيئة التفريق بين تيفيريت ومالكوت إذا كانت نورا إلهية؟

هناك رأي آخر في الكابالا الحديثة يطرحه لوزوتو حول العلاقة بين اين سوف وسيفيروت، يرى فيه أنّ سيفيروت متطابقة مع جوهر الله ومنفصلة عنه في الوقت نفسه، فسيفيروت هي فقط ماأراد اين سوف أن يكشف فيه عن صفاته،(Luzzatto, Kalach Pitchei Chokhmah, 6:1) إلاّ أنّ هذه الصّفات "سيفيروت" ليست اين سوف، وذكر لوزاتو جملة من الفوارق بينهما معتبرا اين سوف هو الإرادة نفسها التي لا حدود لها، وتلك الجوانب من هذه الإرادة التي تم الكشف عنها هي مايسمى بسيفيروت. وهو هنا يحاول أن يقدم مفهوما جديدا لسيفيروت لا يفصلها عن اللاّنهائي لكنه يعطيها ماهية لصيقة بجوهره وهي كونها جزء من الإرادة، لكنّها ليست هو. ويقول: "سيفيروت جزء من كلية اين سوف أي الأجزاء التي يكشف عنها".(Ibid, 6:8-9) إضافة إلى جملة من الأوصاف المرتبطة بكليهما: فسيفيروت أضواء مرئية، في حين أنّ اين سوف غير مرئي. ويسميه بالنّور البسيط אור פשוט وهو ما لا يمكن وصفه أو تعريفه أو تصنيفه بأيّ شكل من الأشكال.(Ibid, 5:2-3; 5:8-10, 12)

من خلال هذه النّصوص يتضح لنا المفهوم الجديد الذي قدمه لوزاتو للاّمتناهي فهو يحاول تقديم هوية وتعريف للسّيفيروت لارتباطها بالخلق، في حين يعمل أيضا على تنزيه اللاّمتناهي من الإتصال بها، فيعمد إلى تقسيم الإرادة إلى مخفية كاملة، ومكشوفة ناقصة، ومجمل الأوصاف التي تتبع هذا وفقا لهذه القاعدة، وهي محاولة أخرى لإعطاء هوية للسّيفيروت ولا تعتبر جمعا بين الرأيين السابقيين بل رأيا مستقلا يبحث في ماهية سيفيروت مثل رأي كودوفيرو سابقا.

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

5.6.خاتمة:

الخلق في الكبالا والدّور الذّي يمثله النّور في ذلك يجعل منه من النّوع الوجودي المرتبط بأصل الوجود وماهيته، فهو الموضوع الجوهري للخلق، وهو أساسي في عملية الخلق، فاين سوف الخالق اللاّمتناهي (اين سوف-אין סוף) نور، تصدر عنه أنوار عشرة هي (سيفيروت-ספירות) وتضمّ كلّ العوالم، والنّور في بداية الخلق كما تم بيانه لم يمثل وحدة أو شيئا مخلوقا، بل كانت له ماهية أزلية وهذا يثبت أنّ ارتباطه باللاّنهائي له بعد أكثر من الخلق، وتدل على ذلك نصوص الزّوهار السّابقة في أنّه يمثل جوهر الله ويتطابق مع أسمائه. والخلق هنا ليس خلقا بمعنى الإيجاد وإنّما هو فيض وصدور للأنوار عن اللاّنهائي ليتشكل العالم وكل الموجودات إثر ذلك، وهي ماتسمّى بالسّيفيروت. وهي تشمل كلّ العوالم ويقسمها الكاباليون إلى أربعة عوالم أصل تسميتها من التّوراة، مقسّمة إلى عالم مخفي يمثل اللاّنهائي، والقسم الثّاني وهي العوالم الثّلاثة المتبقية المخلوقة التّي تندرج ضمنها كلّ المخلوقات. وهي ملكات إلهية يستخدمها الله لخلق وتسيير العوالم. وسيفيروت في حقيقتها هي ظهور الله كوسيلة إعلانه عن ذاته للإنسان من أجل معرفته وإدراكه كما يريد هو؛ فهي -أي سيفروت- مهمتها الكشف عن اللاّنهائي. كما أن الدور الذّي تمثله سيفيروت في الكشف عن اللاّنهائي هو دور فاعل وبارز تحدده طبيعة سيفيروت الذّي تمثل مظهرا من مظاهر اللاّمتناهي لكنّها لا تمثل جوهره.

****

المصادروالمراجع:

السّواح، فراس،(2001)، الأسطورة والمعنى دراسات فى الميثولوجيا والدّيانات المشرقية، دمشق: دار علاء الدين للنّشر والتّوزيع والترجمة، الطبعة الثانية.

بن ميمون، موسى،(ب. ت)، اعتنى به حسين اتاي، مكتبة الثقافة الدينية.

سبينوزا، باروخ،(2009)، علم الأخلاق، ترجمة: جلال الدّين سعيد، مراجعة: جورج كتورة، بيروت: المنظة العربية للتّرجمة، الطبعة الأولى.

سبينوزا، باروخ،(2017)، رسالة في إصلاح العقل، ترجمة: جلال الدّين سعيد، مراجعة: صالح مصباح، بيروت: بيروت: مؤمنون بلا حدود.

فرويد، سيغموند،(1986)، موسى والتّوحيد، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى.

هليفي، يهودا بن شموئيل،(2014)، الحجة والدليل في نصر الدين الذليل، ترجمة: ليلى إبراهيم أبو المجد، القاهرة- المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى.

Sources and References:

Ad. Franck, (1892), *La Kabbale, La Philosophie Religieuse Des Hébreux*, Troisieme Edition: Paris Librairie Hachette.

Aharon Meir Altshuler, *The Beginning of Wisdom*, Retrieved from: https://www.sefaria.org.

Arthur Edward Waite, (1902), *The Doctrine And Literature Of The Kabalah*, London: The Theosophical Publishing Society.

Arthur Edward Waite, (1913), *The Secret Doctrine In Israel A Study Of The Zohar And Its Connections*, London William Rider & Son, Limited Cathedral House, Paternoster Row, E.G.

Alexander Altmann, (1967), *Jewish Medieval and Renaissance Studies*, Harvard University Press.

Azriel of Gerona, *Be'ur Eser S'firot*, Retrieved from: https://www.sefaria.org.
Bernhard Pick, (1913), *The Cabala Its Influence On Judaism And Christianity*, Chicago, London: The Open Court Publishing Company.
Frank Thilly, (1931), *A History Of Philosophy*, New York: Henry Holt And Company, January.
Gershom Scholem, (1961), *Major Trends In Jewish Mysticism*, New York : Schocken Books.
----------------------, (1972), *The Messianic Idea In Judaism: And Other Essays On Jewish Spirituality*, New York: Schocken Books, 2nd Pr.
----------------------, (1978), *Kabbalah*, New American Library, New York And Scarborough, Ontario.
----------------------, (1997), *On The Mystical Shape Of The Godhead: Basic Concepts In The Kabbalah*, New York: Schoken Books.
Hayyim vital, *Sefer Etz Chaim*, Retrieved from: www.hebrew.grimoar.cz.
J. Abelson, (1913), *Jewish Mysticism*, London, G Bell and Sons LTD.
Kaufmann Kohler, Isaac Broydé, *EN SOF* - JewishEncyclopedia.com.
Maurice Maeterlinck, (1922), *The Great Secret*, Translated By Bernard Miall, New York: The Century Co,.
Midrash Pirkei DeRabbi Eliezer, Retrieved from: https://www.sefaria.org.
Midrash Rabbah, Bamidbar Rabbah, Retrieved from: https://www.sefaria.org.
Midrash Rabbah, Bereishit Rabbah, Retrieved from: https://www.sefaria.org.
Midrash Tanchuma Buber, Retrieved from: https://www.sefaria.org.
Moses Cordovero's Introduction to Kabbalah, (1994) Annotated trans. of Or ne'erav, Ira Robinson,. KTAV Publishing House, Inc.
Moses Cordovero, *Pardes Rimonim*, Retrieved from: www.hebrew.grimoar.cz.
Moshe Chaim Luzzatto, *Kalach Pitchei Chokhmah*, Retrieved from: www.hebrew.grimoar.cz.
Recanati, *Recanati on the Torah*, Retrieved from: www.hebrew.grimoar.cz
Robert M. Seltzer, (1980), *Jewish People, Jewish Thought: The Jewish Experience in History*, New York: Macmillan.
Sefer Habbahir, Livre de la Clarté, Attribué à Rabbi Neh'unya Ben Haqana, que son souvenir soit une bénédiction, Traduction française par Gilen, Microsoft Word - Sefer Habbahir.doc Retrieved from: (kabbale.eu).
Sefer Yetzirah, (May 1, 1997), *The Book of Creation*, translated by Aryeh Kaplan, Weiser Books.
S. Karppe, (1901), *Étude Sur Les Origines Et La Nature Du Zohar*, Félix Alcan, Éditeur, Paris.
Sidney Spencer, (1963), *Mysticism in World Religion*, *south Brunswick,* New York: a. s. Barnes and Co,.
Tanakh- The Hebrew Bible with a Modern English Translation and Rashi's Commentary, Retrieved from: Chabad.org.
The William Davidson Talmud, Bavli, Retrieved from: https://www.sefaria.org.
Tikkunei Zohar, Retrieved from: https://www.sefaria.org.
W, J. Colville, (1916), *Kabbalah:The Harmony Of Opposites*, New York: Macoy Publishing & Masonic Supply Co,.
Yosef Giqatillah, *Sefer ha-Orah (Shaarei Orah)*, Retrieved from: https://www.sefaria.org.
Zohar, Retrieved from: https://www.sefaria.org.
Zohar Chadash, Retrieved from: https://www.sefaria.org.